مجلة الدراسات الإيرانية
Journal for Iranian Studies

مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة الرابعة – العدد الحادي عشر – أبريل 2020

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

الفجـــوة بيـــن الأجيـــال
وهويـة المجتمـع والدولـــة في إيـــران

د. محمـد حسـن القاضـي

الباحـث في الشـؤون الإيرانيـــة والإقليميـــة

بعد أربعين عاماً من الثورة يشهدُ المجتمع الإيراني حراكاً اجتماعياً وسياسياً واسعاً، يحملُ في طياته خلافاً متنامياً بين الأجيال القديمة والأجيال الشابة. إذ يصرُّ جيلُ الكبار الذي قامَ بالثورة ثم قادَ الدولة، لا سيما جيلُ الحرس القديم المتمثّل في رجال الدين المُتحكمين في مقاليد السُلطة، على ذات الخطاب الأيديولوجي الثوري المتمسك بشدة بالشعارات الدينية، محاولاً الحفاظ على سيطرته ووصايته على جوانب المجتمع والدولة كافة. بينما في المُقابل يسعى قطاعٌ واسعٌ من جيل الشباب، الذي يمثّل النسبة الأكبر في إيران، إلى أخذ زمام المبادرة، والتعبير عن ذاته بحرية، وإسماع صوته بقوة للنُخبة الحاكمة، طارحاً خطاباً مختلفاً، ومتبنّياً قيماً وتوجهات مغايرة في الغالب لقيم الجيل القديم وتوجهاته. الأمرُ الذي أفضى إلى حدوث فجوة جيلية انعكست بدورها على الهوية الإيرانية، مضيفةً مزيداً من التعقيد لوضعيتها الجدلية المُتأزمة، من خلال مساهمة تلك الفجوة الجيلية، مع غيرها من العوامل المُرتبطة بعملية بناء الأُمة وبالتعددية العرقية والجهوية، في إعاقة بناء هوية وطنية جامعة تتجاوزُ الانقسامات والاختلافات، وتُحقق التلاحُم المجتمعي.

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف قضية هوية المجتمع والدولة في إيران من منظور الاختلافات الجيلية والعلاقة بين الأجيال، وليس من منظور التنوع الجهوي والتعددية العرقية، استناداً إلى أربع فرضيات، هي:

■ أن التغيرات الكبيرة والمتسارعة التي شهدتها إيران خلال العقود الأخيرة ساهمت في تعرض الأجيال المختلفة لظروف وخبرات متباينة، ما أدى إلى اختلاف في القيم والتوجهات بين الأجيال القديمة والأجيال الجديدة، وبالتالي حدوث فجوة متنامية بينها.

■ أن الفجوة الجيلية في إيران ذات مستويين، أحدهما رأسي (بين جيل الكبار وجيل الشباب)، والآخر أفقي (على مستوى كل جيل)، حيث لا تشترك جميع الفئات العمرية التي تندرج تحت أحد الجيلين في القيم والتوجهات نفسها، وإن كانت الفجوة أكثر وضوحاً على المستوى الرأسي.

■ ثمة علاقةٌ جدلية (تأثير وتأثر) بين الفجوة الجيلية والهوية في إيران. حيث أدى إخفاق النظام في الاستيعاب الكامل للأجيال الشابة في إطار هوية جامعة إلى حدوث فجوة جيلية أدَّت بدورها إلى استمرار الخلاف حول طبيعة الهوية الإيرانية.

■ أثرت الفجوة الجيلية على الهوية الإيرانية وطبعتها بلمحة واضحة من الازدواجية، ما بين هوية أيديولوجية إسلامية أممية يتبنّاها الجيل القديم المهيمن على الحكم، وهوية قومية حداثية علمانية يتبناها قطاعٌ كبير من الأجيال الشابة.

وفي ضوء الفرضيات السابقة، تتناول هذه الدراسة الفجوة بين الأجيال وتأثيرها على هوية المجتمع والدولة في إيران، من خلال أربعة محاور: الأول: مقاربة مفاهيمية لمفهومي الفجوة الجيلية والهوية، والثاني: نظرة عامة على البنية الجيلية للمجتمع الإيراني، والثالث: أسباب ومظاهر الفجوة الجيلية في إيران، والرابع: انعكاسات الفجوة الجيلية على هوية المجتمع والدولة.

أولاً: مقاربة مفاهيمية للفجوة الجيلية والهوية

1- مفهوم الفجوة الجيلية

يشير مفهوم الجيل إلى مجموعة من الأقران الذين تشكلت خبرتهم الجماعية من خلال حدثٍ بارز أو وقائع تاريخيةٍ معينة[1]. ويعتبر الجيل أكثر من مجرد مجموعة من الأفراد تنتمي إلى نفس العمر البيولوجي، فهو أيضاً بمثابة وحدة اجتماعية تتشابه ظروف نشأتها وتجاربها وخبراتها، وتشترك في القيم والأفكار والتوجهات نفسها،

ويجمعها وعيٌ عام بالترابط والتضامن بين أعضائها.

أمـا الفجـوة الجيليـة فتشـير بشـكلٍ عام إلـى التباين بيـن الأشـخاص المنتمين إلى جيليـن مختلفيـن فيمـا يتعلـق بالأفـكارٍ أو الآراء والقيـم والتوجهات المرتبطـة بمختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسـية؛ وبشـكلٍ أكثر تحديداً، تتعلق الفجوة الجيلية بالاختلافـات في السـلوكيات والمعتقـدات والميولٍ بين أعضاء الأجيال الشـابة، مقابل الأجيال الأكبر سناً[2].

ويمكن القول إن مفهوم الفجوة الجيلية يتأسـس على ثلاثة افتراضات رئيسـة هي:

أ- أن المجتمعـات تنقسـم بالضـرورة إلـى أجيـال، اسـتناداً إلـى العمـر البيولوجـي، والخبـرات المشـتركة التـي تطبـع كل جيـلٍ بسـماته الخاصـة التـي تميزه عـن الأجيال الأخرى.

ب- لـكل جيـلٍ تعريـفٌ للـذات ووعيٌ جمعي بأن لـه هويةً خاصة تميـزه عن الآخرين، وتُكسـبه نوعاً من التضامن بين أعضائه في مقابل الآخر.

ج- أن انتماء الشـخص إلى الأجيال الأصغر سـناً يعني أن تكون توجهاته واهتماماته وأنماطُ سـلوكه مختلفةً كثيراً عن توجهات الأجيال الأكبر واهتماماتها وأنماطِ سـلوكها.

وترتبـط نشـأة الفجـوة بيـن الأجيـال في الغالـب بطبيعة انتقـال القيـم الثقافية من الأجيـال القديمـة إلـى الأجيـال الجديـدة. حيث تنتقـل الثقافة مـن الجيل السـابق إلى الجيـل اللاحـق من خـلال عملية التنشـئة الاجتماعية. لكن بعض العوامـل، مثل التغيير الاجتماعـي المتسـارع، والأحـداث السياسـية والاجتماعيـة الكبـرى، وتأثيرات وسـائل الإعـلام وتكنولوجيـا المعلومات، قد تؤثر بشـدة على عملية التنشـئة الاجتماعية بحيث لا يتم نقل النَسق الثقافي من جيل الكبار إلى الجيل التالي بشكلٍ كاملٍ ودقيق؛ ونتيجةً لهـذا يحـدث الاختلاف فـي القيم والأفـكار والتوجهات والمعاييرٍ وأنماطِ السـلوك بين الأجيال المختلفة، وتنشـأ الفجوة بينها.

كمـا ترتبـط الفجـوة بيـن الأجيـال كذلـك بأنمـاطِ عـدم المسـاواة والصـراع فـي المجتمعـات. فمثلمـا هـي الحـال فـي الطبقـات الاجتماعية، هنـاك أجيـالٌ مختلفة لها مصالـحُ متضاربـة، وبينهـا صراعـاتٌ تعـود بجذورهـا إلـى عدم المسـاواة في السُـلطة والثروة اللتين يسيطر عليهما الجيل الأكبر سناً، ونتيجةً لهذا، فإن صراع الأجيال ليس ظاهرةً جديدة، بل عاملاً هيكلياً اجتماعياً يعود إلى قرونٍ مضت، ويسـتند إلى الصراع بيـن الصغـار والكبـار فـي مختلـف مجـالات المجتمـع؛ وبناءً على هـذا النهـج، يتم بناء الجيل كوحدةٍ اجتماعية من قِبل الجيل القديم من أجل الحفاظ على تفوقه ومصالحه.

مـع الأخـذ فـي الاعتبار أن جميع الفئات العمرية التي تنـدرج تحت جيلٍ واحد ليس لها بالضرورة مصالح متشـابهة، لأنها تنتمـي إلى فئاتٍ اجتماعيةٍ مختلفة[3].

ومن حيث العلاقة بين الأجيال هناك ثلاثة أنواعٍ من المجتمعات. **الأول**: المجتمعات التي يتَّبع فيها الجيلُ الجديد الجيلَ السابق بشكلٍ تامٍّ، وتنتقل ثقافة الأجيال السابقة أو ثقافة الأسـلاف دون تغييرٍ كبير إلى الجيل التالي. و**الثاني**: المجتمعات التي تتعرض لتحـولاتٍ اجتماعيـة بحيـث تتغيـر على نحوٍ يصبح معه نمطُ حياة الجيل السـابق غير مناسـبٍ للجيل اللاحق، وبحيث يبدو الجيلان وكأنهما يعيشـان في حياتين مختلفتين، ويحدث نقل ثقافة الجيل السابق إلى الجيل اللاحق بقصورٍ شديد، لذلك يَعتبر أفرادُ الجيـل الجديـد الأقـرانَ الآخرين من جيلِهـم كنموذجٍ ثقافيٍ، ولا يحـدث هذا الموقف فقط عن طريق تحديث المجتمعات أو تحولها إلى نمَط التصنيع، بل يحدث أيضاً في ظـروفٍ مثـل الهجـرة من الريف إلـى المدن، أو حدوث ثورةٍ اجتماعيـة أو التحول إلى عقيـدةٍ جديـدة. و**الثالث**: المجتمعـات التي تحدث فيها تغييـرات هائلة بحيث يضطر جيـلُ الكبـار لتعديـل قيمِه وقواعِده القديمـة وفقًا لثقافة الجيـل الجديد، وفي الوقت نفسـه لا يكـون لـدى الجيـل الجديـد أيضاً نمـوذجٌ ثقافيٌ محـدد، ويتحتـم عليه إدارة حياته فـي ظروفٍ غامضةٍ ومحفوفةٍ بالمخاطر[4].

ويمكـن القـول إن إيـران، شـأنها شـأن العديـد مـن الـدول الناميـة التـي تعرضت لتطـوراتٍ متلاحقـة فـي إطـار تحولها مـن مجتمعاتٍ تقليديـة إلى مجتمعـاتٍ حديثة، تنـدرج فـي إطـار النوع الثاني. حيث شـهدت إيـران تغييراتٍ كبيرة وسـريعةً في قِيمها وهياكِلها السياسـية والاجتماعية، على نحوٍ أحدث انفصالاً كبيراً وفجوةً متنامية بين الأجيال الأكبر سـناً والأجيال الشابة.

2- مفهوم الهوية

بشكلٍ عام تُعَرَّف الهوية بأنها وصفُ أو تعريفُ الوجود والانتماء[5]؛ وتُعد الهوية بمثابة تصورٍ أو إدراكٍ للأنا من خلال الآخر، فهي عاملٌ ديناميكي لفهم الأشخاص لأنفسهم وللآخرين، وهي نتيجةٌ للتوافقات والخلافات. حيث تكتسب جميع المجتمعات هوياتِها من خلال آلياتِ مناقَضة الآخرين المنافسين أو الخصوم (بمعنى التباين أو الاختلاف عنهم)، في مقابل الإحساس بالتماثل والتضامن مع الموالين داخل تلك المجتمعات. لهذا فإن أحد المكونات المحورية للهوية السياسية هو التمييز بين الذات والآخر. إذ تُصنِّفُ الهوية السياسية الناسَ والأُممَ وفقًا لاتجاهاتِهم السياسية

أو انتماءاتهم أو خصومهم، والأهم من هذا أنها تُقسِّم الناسَ بين «نحن» و«هم»، أو ترسم الحدودَ بين الأنا والآخر[6].

وللهوية مستوياتٌ ومضامينُ متعددة، فردية واجتماعية أو جمعية ووطنية ومدنية. فالهوية الفردية هي بمثابة تعبيرٍ عن الشخص، وكيفية تعريفه لذاته، ومن أين يستمد إحساسه بالانتماء (إلى مجموعةٍ معينة)؛ وهي هويةٌ متغيرة وليست جامدة، ويمكن التأثير فيها والتلاعُب بها من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي. فهي إذاً مرنة وقابلة للتغيير والتعديل[7]، وتتقاطع الهوية الفردية مع الهوية الاجتماعية، التي تعبر عن ذلك الجزء من مفهوم الذات لدى الفرد والذي ينبع من معرفته بانتمائه إلى مجموعةٍ اجتماعية (أو مجموعات)، مع إدراك القيمة أو الأهمية العاطفية المرتبطةِ بالعضويةٍ في هذه المجموعة[8].

أما الهوية الوطنية فهي الشعور بالانتماء إلى أمةٍ أو دولةٍ أو كيانٍ جيو-سياسي؛ وتتأسسُ في الغالب على الأصل أو اللغة المشتركة أو التاريخ أو الانتماء العرقي[9]، وهي ذاتُ طابعٍ سياسي بالأساس، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية بناء الأمة والدولة.

والهوية المَدنية هيَ شكلٌ من أشكال الهوية، في إطاره تكون العضوية في كيانٍ جيو-سياسي، غير مقيدة بالعِرق أو الثقافة، وبدلًا من هذا تقوم تِلك العضوية على مجموعةٍ من القيم المشتركة حول الحقوق وشرعية مؤسسات الدولة للحكم؛ وهي الشرعيةٍ التي تُستمَد من مشاركة المواطنين في العديد من المؤسسات السياسية والجمعيات التطوعية والنقابات وما إلى ذلك[10].

ويمكن تصنيف الهويات، ولا سيما الهويات السياسية، إلى نوعين: هوياتٌ نخبوية: وهي هوياتٌ هشّة، تتبنّاها نُخبٌ تمثل قطاعاتٍ مجتمعيةً صغيرة، نتيجةً لكون الواقع السياسي والاجتماعي لا يُؤسِّس لهذه الهوياتٍ ولا يُساعد على وجودها وانتشارها. وهوياتٌ عامة: وهي هوياتٌ واسعة الانتشار بين مختلف الطبقات والشرائح، وذلك لكونها هوياتٍ أكثر واقعية يُمليها الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي على المنتمين إليها، ويمكن تقسيم الهويات السياسية أيضاً إلى: هوياتٍ ترتبط بالإطار الوطني أو القومي، وتُعدُ أكثر قرباً إلى الواقع. وهوياتٍ أمُمية: وهيٍ أقربُ إلى كونها متخيلةً وغيرٍ عملية، وهو ما يبقيها في إطار الشعاراتٍ[11].

وإجمالاً، تتحرك الهوية في إطار ثلاثة مستويات أو دوائر متداخلة ذات مركزٍ واحد، فردية وجمعوية ووطنية، وتتحدد العلاقة بين هذه المستويات وفقاً لنوعٍ «الآخر» الذي تواجهُه: فالفرد داخل الجماعة الواحدة، طائفةً كانت أو جماعةً مدنية،

هـو عبـارةٌ عـن هويـةٍ مميـزةٍ ومسـتقلة، أو «أنـا» لهـا «آخر» داخـل الجماعة نفسـها. والجماعـات داخـل الأمـة، هـي كالأفراد داخل الجماعة الواحدة، لـكلٍ منها ما يميزها داخـل الهويـة الثقافيـة المشـتركة، ولـكل منهـا «أنـا» خاصة بهـا، و«آخر» مـن خلاله تتعرفُ على نفسـها. وكذلك الأمر بالنسـبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى. غير أنهـا أكثـر تجريداً، وأوسـع نطاقاً، وأكثـر قابليةً للتنوع والاختـلاف. والعلاقة بين هذه المسـتويات ليسـت ثابتـة، حيـث تتغير حسـب الظـروف وأنواع الصـراع واللا صراع، والتضامـن واللـا تضامـن، التـي تحركهـا المصالـح الفرديـة والجمعويـة والوطنية أو القومية[12].

وتكتسب الهوية أهميةً كبيرة في المجال السياسي، حيث تُستخدَم الهوية السياسية مـن أجـل توحيد أفراد المجتمع، من خلال إرسـاءِ الأسـاس للشـعور العـام بالتضامن والتلاحُـم داخـل كيـانٍ إقليمـي معين. كمـا أن تحديد الكيـان السياسـي أو المجتمعي لهويته يتأسس عليه تحديدُ توجُّهاته وأهدافه وبرامجه السياسية، إذ إن التوافق حول هويةٍ موحدة يُمَكِّنُ الأشخاص، سواءً كانوا حكاماً أو محكومين، نخبةً أو جماهير، من تحديـدِ ومواءمـة مواقفهم وتوجهاتهم إزاء واقع المجتمع وقضاياه وأهدافه ومصالحه العامـة، علـى نحوٍ يَحولُ دونَ حدوث التوترات المجتمعية العنيفة، ويعزز الاسـتقرار.

ثانياً: نظرة عامة على البنية الجيلية للمجتمع الإيراني

يمكن استيضاح البنية الجيلية للمجتمع الإيراني، ولا سيما في بُعدها المتعلق بالعمر البيولوجي، من خلال هيكل الهرم السكاني الذي يشير إلى الأحجام النسبية للفئات الرئيسـة لأعمـار السـكان، ويبيـن مـا إذا كان المجتمـع شـاباً أو هرِمـاً، وفي هذا الإطار يتَّسـم الهـرم السـكاني فـي إيـران (كمـا يتَّضـح مـن الشـكل رقـم 1) بأنـه مُتَّسِـعٌ عنـد المنتصـف، مـا يعنـي أن حجـم الفئـات العمريـة الشـابة كبيـرٌ نسـبياً. كمـا أن قاعـدة الهرم متوسـطة الحجم، أي أن هناك نسـبةً متوسـطة من الفئات العمرية الأصغر سـناً (الأطفـال والمراهقيـن). فـي مقابـل الصغـر النسـبي لقمة الهرم، والـذي يعني أن حجم الفئـات الأكبـر سـناً صغيـرٌ بالمقارنـة مـع الفئـات العمريـة الشـابة والصغيـرة. وهـو مـا يشـير إلـى أن المجتمـع الإيرانـي مجتمـعٌ شـاب. حيـث يتَّضـح مـن إجمـال نِسَـبِ الفئـات الشـابة والصغيـرة (المبينـة علـى نحـوٍ تفصيلـي فـي الشـكل رقـم 1) أن نسـبةَ السـكان دونَ سـن الأربعين تبلغ 66%، وأن نسَـبةَ من هم في المراحل العمرية ما بين 15 و39 عامـاً تبلغ 41,2%.

شكل رقم 1: هيكل الهـرم السكاني في إيـران
(عدد السـكان: 83,992,953 العـام 2020م)

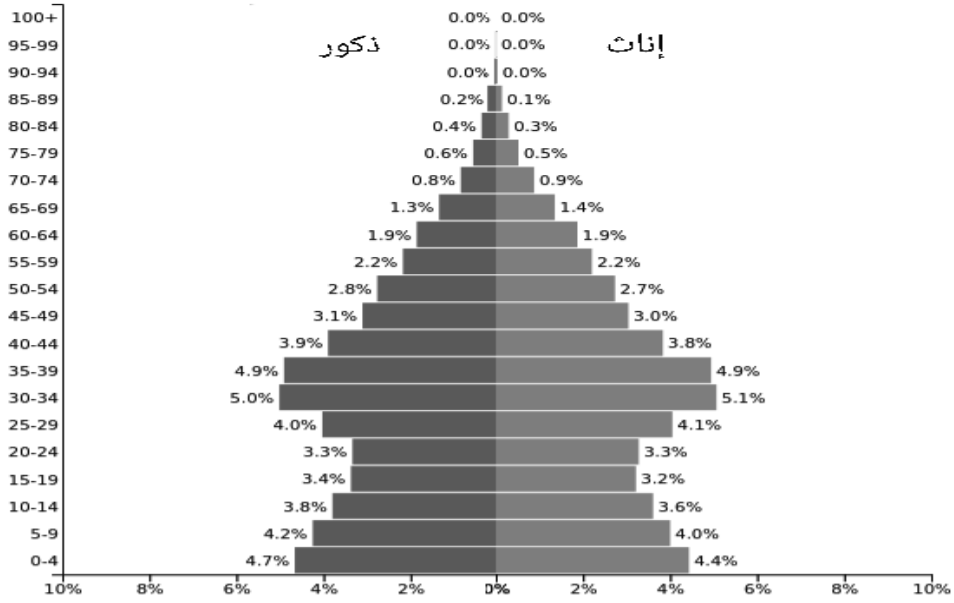

Source: PopulationPyramid.net Population Pyramids of the World from 1950 to 2100, Iran (Islamic Republic of) 2020, *https://bit.ly/2Xs5b0X*

أمـا مـن حيث البُعد المتعلق بالظروف الاجتماعية والتجارب والخبرات التاريخية لكل جيـل، فتنقسـم أجيـال المجتمـع الإيراني الموجودة حاليـاً إلى ثلاث مجموعات رئيسـة، لـكلٍ منهـا خصوصيتُهـا فيما يتعلـق بظروف التنشـئة الاجتماعية، والخبـرات التاريخية، والتوجهات، والوعي العام، والأنماطِ السلوكية.

تضـم المجموعة الأولى الأشـخاصَ الذيـن وُلِدوا خلال الأربعينات والخمسـينات من القرن الماضي، وقد عاش هؤلاء الأشخاص فترات التنشئة الاجتماعية في مرحلة الحكم الملكـي، والتـي اتسـمت فـي الغالب بالتوتر وبالمناخ السياسـي السـلطوي. ممـا يعني أن أفكارهـم وتوجهاتهـم قـد تأثـرت بالظروف التي سـادت في هـذه المرحلة، وهـم يمثلون جيـلَ مـا قبل الثـورة، وهو الجيل الـذي خطَّط للثورة وقادهـا، وتضم **المجموعـة الثانية** أولئك الذين ولدوا خلال السـتينات وأوائل السـبعينات من القرن الماضي، وقد عاشـوا سنواتهم الأولى في وقت الثورة، وشاركوا بشكلٍ أو بآخر في هذه الثورة، كما شاركَ هذا الجيـل فيمـا بعد في الحرب بين إيران والعـراقِ (1980م-1988م)؛ ولهذا يُعد هذا الجيل

جيلَ الثورة والحرب. أما **المجموعة الثالثة** فتشـمل أولئك الذين ولدوا خلال الفترة من أواخر السبعينات وحتى التسعينات من القرن الماضي ومطلع الألفية الحالية، وقد عاش هـذا الجيـل ونشـأ اجتماعياً في ظل الثورة، لكنه تعرَّض في الوقـت ذاته لتأثير الثقافات العالمية في ظل انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات[13].

وتمثل المجموعة الأولى والمجموعة الثانية أجيالَ الكبار، وتتشابه هاتان المجموعتان إلى حد كبير في ظروف التنشئة الاجتماعية والخبرات التاريخية، حيث عايش أعضاؤهما أحـداثَ الثـورة ومـا تلاها من وقائع وخبراتٍ تاريخية، الأمـر الذي يعني أن المنتمين إلى هاتين المجموعتين يتشاركون، بشكلٍ عام ومع استثناءاتٍ قليلة، نفسَ التوجهات والأفكار والوعي العام، كما يتشـابهون إلى حدٍ معقول في أنماطِ السـلوك المحافظة في الغالب. أمـا المجموعـة الثالثة فتمثِّل أجيالَ الشـباب، والتي مـن الملاحظ أنه على الرغم من أن المنتميـن إليهـا وُلِدوا ونشـأوا اجتماعياً في ظل الأنظمة الاجتماعية والسياسـية للثورة، فـإن أفكارهـم وتوجهاتهم وأنماطَ سـلوكِهم متحررة في الغالب، وتتشـابه في معظمها مع توجهـات وأنمـاطِ سـلوك أقرانِهم من الشـباب العـادي في بقية دول العالم، لا سـيما في الدول الغربية؛ وبالتالي لا تشترك قطاعاتٌ واسعة من أجيالِ الشباب الإيراني مع أجيالِ الكبار في الوعي الجمعي نفسه، ولا في الأفكار والتوجهات وأنماط السلوك. هذا التباين الواضح بين أجيال الكبار والأجيال الشابة يُعدُ مؤشراً على أن ثمةَ فجوةً كبيرة بينهما.

ثالثاً: أسباب ومظاهر الفجوة بين الأجيال في إيران

تتمثَّل أهـم أسـباب الفجـوة بيـن الأجيـال بالمجتمـع الإيرانـي فـي: التغييـرات الاجتماعيـة والسياسـية الكبيـرة والمتسـارعة التـي شـهدتها السـاحة الإيرانيـة خـلال القـرن الماضـي، وتعـرُض الأجيـال المختلفـة لخبـراتٍ وظـروفٍ اجتماعيـة واقتصاديـة وسياسـية شـديدةِ التباين، وإخفاق النُخبة الحاكمة التقليدية في استيعاب الأجيال الجديدة في إطار هويةٍ موحَدةٍ وجامعة.

1- التغييرات الاجتماعية والسياسية المتسارعة

شـهدت إيـران، علـى مـدى القـرن الماضي، سلسـلةً مـن التغييرات الاجتماعية والسياسـية الحـادة، والتـي حدثـت علـى نحـوٍ أقـربَ إلـى الطفـرات أو الانقطاعـات التاريخيـة، وترتبت عليها تحولاتٌ جذريةٌ وشاملة، وكان لها انعكاساتُها القوية على مختلف جوانب الحياة في إيران، لا سيما على العلاقة بين الأجيال، ومن بين هذه التغييرات تكتسب عملية تحديث الدولة، وثورة العام 1979م أهميةً بارزة.

فمـن ناحيـة، جَـرت عمليـة التَحضُّـر وتحديث الدولـة الإيرانية بسـرعة كبيرة خـلال العقـود الأخيـرة فـي إطـار تحـول المجتمـع الإيرانـي مـن مجتمـع تقليـدي إلـى مجتمـع حديث، وترَتَّـب علـى هـذا تزايُـد عـدد المـدن وتطورهـا ونمـو أحجامهـا، ممـا جعـلَ النسـبة الأكبر من سـكان البلاد مسـتقرين في المدن أو المناطق الحضرية، بينما كان معظمُهم يعيشـون فـي المناطـق الريفيـة فـي الماضـي، وقـد أدى التحضُّـر والتحديـث، والأبعـادُ الاقتصاديـة والاجتماعيـة المختلفـة المرتبطـة بهمـا، إلـى تزايُـد تقسـيم العمل فـي المجتمـع، والفصـل النسـبي بيـن المؤسسـات المختلفـة مثـل مؤسسـات التعليـم والمؤسسـات الاقتصاديـة، وقـد نجَـمَ عـن هـذا تنامـي دور المؤسسـات التعليميـة كمؤسسـات للتنشـئة الاجتماعيـة، وتطـوُر التعليـم العالـي، علـى نحـو أتـاح لكثيـر مـن الشـباب مسـتويات علميـة مرتفعـة لـم تكُـن متاحـة لآبائهـم؛ ونتيجـة لهـذا أصبـح نَسَـقُ القيـم للأجيـال الجديـدة مختلفـاً عـن الجيـل السـابق، ما سـاهم فـي حدوث الفجوة بين أجيـالِ الكبـار والأجيـالِ الجديـدة[14].

ومـن ناحيـة أخـرى، مثَّلـت الثـورة العـام 1979م ومـا أعقبهـا مـن تفاعـلات ووقائـعَ معقـدة، كالحـرب الإيرانيـة - العراقيـة، ظاهـرة اسـتثنائية فارقـة، وتجربـة جماعيـة للمجتمـع الإيرانـي شـاركت فيهـا جميـع الفئـات وتأثرت بهـا، وقـد أحدثـت هـذه الظاهـرة بعـض الذكريـات الجماعيـة والأفـكار والمواقـف الفريـدة لأولئـك الذيـن كانـوا فـي مرحلـة التنشـئة الاجتماعيـة فـي تلـك الفتـرة، وأدت التغييـرات الأساسـية التـي حدثـت فـي إطـار الثـورة إلـى تحـول أو بالأحـرى انفصـال تاريخـي فـي المجتمـع. حيـث غُيِّـرت فجـأة جميـع المبـادئ والأنظمـة القائمـة فـي الدولـة. وهكـذا، فـإن الجيـل الـذي عايـش هـذه الثـورة اختلـفَ عـن الأجيـالِ السـابقة فـي القواعـد والقيـم، ومـع انخـراط إيـران فـي الحـرب بعـد الثـورة بفتـرة وجيـزة، كانـت هـذه الحـرب حدثـاً كبيـراً وواسـعَ النِطاق أنتَـجَ تأثيـرات اجتماعيـة غيـرَ مسـبوقة، وخلَـقَ جيـلاً مختلفـاً بقيـم وقواعـد جديـدة، وبعـد أن مرّت إيـران بتجـارب الثـورة والحـرب، بـدأت فتـرةٌ جديـدة بظُـروف سياسـية واقتصاديـة مختلفـة، وتَشـكَّلَ فيهـا جيـلٌ جديـد بأسـلوب مختلـف، وقيـم وأعـراف وتوجهـات مختلفـة[15].

هـذه التغييـرات والأحـداث الاجتماعيـة والسياسـية المتسـارعة سـاهمت فـي الحيلولـة دونَ انتقـال نَسَـقِ القيـم الثقافيـة والسياسـية مـن الأجيـال السـابقة إلـى الأجيـال اللاحقـة بشـكلٍ طبيعـي وتدريجـي ومسـتقر، حيـث أدَّت التغييـرات التـي حدثـت علـى شـكلِ طفـرات مفاجئـة إلـى اختـلاف القيـم التـي اكتسـبها كل جيـل فـي فتـرة تنشـئته الاجتماعيـة، مـا أفضـى إلـى اختـلاف الوعـي الجمعـي لكل جيل، وتبايُـن أفكاره وتوجهاته.

2- تعرُّض الأجيال المختلفة لخبرات وظروف عامة شديدة التباين

من الطبيعي أن تتباين الخبرات التاريخية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحيطة بالأجيال المختلفة بتباين المراحل التاريخية التي تمر بها المجتمعات في مسيرة نموها وتطورها، وطالما بقيت درجةُ التباين في الخبرات التاريخية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مستوياتٍ معقولة تظلُّ الاختلافات بين الأجيال في حدودٍ طبيعية لا تصل في الغالب إلى درجة التنافر والصراع والفجوة الجيلية. لكنَّ الوضع في حالة إيران بخلاف ذلك. حيث تعرَّضت الأجيال المختلفة لخبراتٍ تاريخية وظروفٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وسياسيةٍ شديدةِ التباين على نحوٍ أحدَثَ نوعاً من الانفصام بين هذه الأجيال.

فبالنسبة إلى أجيال الكبار، فقد عاشت **المجموعة الأولى** منهم، والتي تسمى بجيل ما قبل الثورة، في ظلِّ ظروفٍ سياسية اتسمت بمناخٍ سُلطوي ضاغط (نظام الحُكم البهلوي)؛ وفيما يتعلق بالظروف الاقتصادية، فقد نشأ المنتمون إلى هذه المجموعة في الفترات التي تلت مرحلة التحديث الأوَّلي لإيران (في عهد محمد رضا بهلوي)، وقد شهِدَ هذا الجيل في مراحل عُمره الأولى فتراتٍ من الرفاهية الاقتصادية على مدى ما يقربُ من عقدٍ من الزمن (1961م-1968م)، وهذا يعني أن خبرتهم المشتركة ومعتقداتهم وأفكارَهم قد تأثرت بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي سادت في هذه المرحلة[16].

ويمكن القول إن الظروف العامة التي نشأ فيها هذا الجيل، والتي اتسمت بالطابع التسلُّطي القمعي، المترافق مع إجراءات التغريب وخطوات العصرنة المتسارعة، التي كان الهدف منها إحداث قطيعةٍ شبه كاملة مع قِيم المجتمع الإيراني التقليدية ذات الصِبغة الإسلامية الشيعية، قد أثَّرت على توجهات هذا الجيل، وأدت إلى اتخاذ قطاعاتٍ واسعة منه لرد فعلٍ مضاد تمثَّل بالانخراط في الثورة الإيرانية العام 1979م، والتي كانت بمثابة خبرةٍ تاريخية فارقة لهذا الجيل والجيل الذي يليه مباشرةً.

وبالنسبة إلى المجموعة الثانية من أجيال الكبار، والتي تسمى بجيل الثورة والحرب، فقد عايش أفرادُها أحداثَ الثورة، كما عاصروا فيما بعد الحرب بين إيران والعراق؛ وبالطبع فإن كثيراً من الجنود الذين شاركوا في القتال كانوا من المنتمين إلى هذا الجيل الذي تأثر وعيُه الجمعي كثيراً بهذه الحرب. كما بذل هذا الجيلُ جهوداً كبيرة خلال السنوات الأولى من الثورة والحرب، وقام بتصميم وتنفيذ الثقافة الثورية الجديدة بالتعاون مع الجيل السابق[17].

وقد عايشت المجموعتان السابقتان اللتان تُمثلان أجيالَ الكبار الصراعَ العنيف الذي أعقَـب الثـورةَ الإيرانية العام 1979م بين أجنحة هذه الثورة من الإسـلاميين والليبراليين واليسـاريين، وحتى على مسـتوى معسكر الإسلاميين أنفسهم، وهو الصراع الذي استمر لسـنوات، وأدى إلـى مقتـل كثيـر من قيـادات الثـورة. وبالطبـع كان لهذا الصـراعُ الدامي انعكاساتُه القوية على توجهات أجيال الكبار ووعيها الجمعي[18].

وإجمـالاً، تشـابهت خبـراتُ المجموعتيـن السـابقتين إلـى حـد كبير، ولهذا يتشـارك أفرادُهمـا فـي الغالب نفس الأفـكار والتوجهات، وذلك في مقابل الاختلاف الشاسِـع مع المجموعة الثالثة التي تمثِّل جيلَ الشـباب، على نحوٍ يبدو معه الطرفان وكأنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين.

فقـد نشـأ جيلُ الشـباب في جوٍ ثُنائـي القطب. فمن ناحية، يمكن اعتبـارُه ينتمي إلى الثورة، حيث نشـأ في ظلِّ تعليم وتدريب منظماتٍ ومؤسسـاتِ الثورة الإسـلامية، وقضى كل فترة التنشـئة الاجتماعية في وقت ما بعد الثورة، وفي الوقت نفسـه ليس لديه خبرة بأحـداث هـذه الثـورة ومشـكلات الحرب التـي تلتها. إذ يمكـن القول إن هـذا الجيل كان مرتبطـاً فقـط بوعـود الثـورة الإيرانية وذكريات الحـرب. ومن ناحيةٍ أخـرى، تعرَّض هذا الجيل لتأثير الثقافات العالمية والغربية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وأصبحَ على علاقةٍ وثيقة بالنظام العالمي[19]. وفي الوقت ذاته عايشَ هذا الجيل الظروفَ الاقتصادية والاجتماعية الصعبة المترافقة مع اسـتمرار انغلاق النظام السياسـي، ما أفقده القناعة بشـعارات الثـورة وقيمهـا التي يحملُهـا جيلُ الكبار المُهيمن على السـلطة، والذي لا يزال مصراً على تنفيذ هذه الشعارات وعلى التمسك بهذه القيم.

وفـي هـذا الإطـار، فـإن التغييرات التقنية السـريعة فـي مجال تكنولوجيـا الاتصالات والمعلومـات، والتـي أتاحـت لجيـل الشـباب الوصولَ الواسـع إلـى الإمكانات والوسـائط الإعلاميـة الحديثـة مِثل الإنترنـت والأقمار الصناعية، قد وضعت هذا الجيل في ظروفٍ مختلفة عن الجيل السابق. إذ أثرت بشدة على عملية التنشئة الاجتماعية، وساهمت في تشكيل نَسَقِ قيم الأجيال الجديدة على نحوٍ مختلف عن نَسَقِ قِيم أجيال الكبار؛ وفي هذا السياق أشارت بعض التقارير إلى أن 72,8% من الأُسر الإيرانية لديها اتصالٌ بالإنترنت، أي ما يمثل 69,7% من السـكان[20]، وأن 40% من مسـتخدمي الإنترنت الإيرانيين تشمل الفئـة العمريـة مـن 20 إلـى 29 عاماً، وتشـمل 30% الفئةَ العمرية مـن 30 إلى 44 عاماً، وتشمل 10% الفئة العمرية ما بين 10 و19 عاماً[21]. كما تزايَد استخدام أجهزة استقبال القنـوات الفضائيـة الخارجية بشـكلٍ كبير فـي جميع المدن الإيرانيـة، وتضاعَفَت أعدادُ هذه الأجهزة رغم الحظر الرسمي لها[22].

هـذا الانفتـاح الإعلامـي والتقني الذي خبرته الأجيال الجديدة في ظلِّ تطور وسـائل الاتصـال وتكنولوجيـا المعلومات، مقابل الانغلاق الثقافي الذي عاشـته الأجيال القديمة فـي ظـلِّ الإعلام الرسـمي الأُحادي الموجـه والتلقين الأيديولوجي الثـوري المكثف، نجم عنـه اتجـاه القطاعات الأوسـع من أجيال الشـباب إلـى تبنّي نموذج ثقافـي مختلف كثيراً عن النموذج الثقافي السائد لدى أجيال الكبار. مما أدى إلى تزايدٍ الفجوةً بين الطرفين.

3- إخفاق النُخبة الحاكمة باستيعاب الأجيال الجديدة في إطار هوية جامعة

فـي مرحلة مـا قبل الثورة، سـعى نظـام الحكم البهلوي إلـى إحيـاء التقاليـد الفارسـية القديمـة، فـي محاولـة لبنـاء وفـرض هويـة قوميـة إيرانيـة أكثـرَ قربـاً مـن النمـط العلمانـي الغربـي، وأكثـر انفصـالًا عـن تُـراث إيـران الإسـلامي الشـيعي. حيث جـرى التنكُّر للقيـم والأفكار الإسـلامية، مـع التركيـز علـى تفـوق الحضـارة الفارسـية وعلـى التمسـك بالتـراث الفارسـي لفترة ما قبل الإسـلام[23]، وقد سـاهمت هذه التوجهات في تفاقُم الانقسـامات حولَ طبيعة الهوية الإيرانية، كما ترتَّبت عليها ردودُ فعلٍ عكسية من قِبل قطاعاتٍ شعبيةٍ واسعة، وكانت من بين أهم أسبابِ اندلاع الثورة العام 1979م.

وبعـد الثـورة، ومـع قيـام نظامَ حُكـم جديد ذي صبغةٍ إسـلامية، اتَّضـح أن قدومَ هذا النظـام لـم يـؤدِ إلى تهدئة الانقسـاماتً المتعلقـة بالهويةً الإيرانية، بل علـى العكس فاقمَ التصدعـات القائمـة. حيـث إن الأمـل في أن تعمل الهوية الإسـلامية -التـي صاغها قادةُ النظام الجديد- كقوةٍ مُوحدة لكل الإيرانيين قد خاب على نطاقٍ واسع، وانعكس هذا في الجـدالات القويـة حول الحُكم الدينـي في مقابـل العلمانية، وحقـوق الجماعات العرقية في مقابلِ الحقوق الفردية، والتنازُع على معنـى الحداثة بالنسبة إلى إيران وشعوبها[24].

فقد عملت الحكومة الثورية الإسلامية على محوِ كلِّ مظاهر القومية العلمانية، وسعى النظام الجديد إلى إحلالِ الهويةِ الإسـلامية ذاتِ الصبغة المذهبية الشـيعية، باعتبارها أسـاسَ الهويـة الإيرانيـةِ (وفقـاً لتصـورات النظـام وتوجهاته)، محـلَ الهويـة القومية. مع التأكيـد علـى مفهـوم الأُمة باعتباره النقيـضَ التام للقومية، واعتبـار أن المقاربة القومية غيـر الإسـلامية للمجتمـع والحُكم التـي تبنّاهـا النظامُ البهلـوي تمثِّل ردةً عن الإسـلام؛ ومـع ذلـك جرى لاحقاً توظيف الاعتبارات القومية الفارسـية أو إتاحة المجال لها بهدف مـلء ثغـرات الهوية الإسـلامية الشـيعية، أو خدمةً لأهـداف النظام، على غِـرار ما جرى فـي مرحلـة الحـرب الإيرانية - العراقية من تبنّي شـكلٍ مُعدلٍ مـن القومية بغرضِ توحيد الإيرانييـن خلـفَ النظـام في هذا الصراع، وقد اسـتمرَ النظامُ في حشـدِ الجماهير وراء أيديولوجيتـه الجديـدة. لكنَّ دولةَ ما بعد الثورة شـهِدت، بسـبب طابعهـا القمعِي، إحباطاً

متزايداً فيما يخصُ أفكارها وهويتها، وبالتالي تعرَّضت الأفكار الإسلامية للنظام الحالي للتحـدي المتزايـد من قِبل فئـاتٍ مجتمعيةٍ مختلفة، وخاصةً من الشـباب، حيث انجذبت هذه الفئات إلى الماضــي القوميِ القديم الذي أصبح مصدرَ المشـاعر غير الإسـلامية والمعادية للنُخبة الحاكمة المتمثلة في رجال الدين[25].

لقد وقعت النُخبة الحاكمة التي تنتمي إلى الجيل القديم في نفس خطأ نظام الحُكم البهلوي بتبنِّيها مقاربةً فوقية لإنشاء الهوية، من خلال سعيها لفرض أفكارها وتصَوراتها عـن طبيعـة هـذه الهوية علـى كامل المجتمع، الأمر الـذي أحدثَ ردَّ فعـلٍ مضاد من قِبل قطاعات مجتمعية ليست بالقليلة، وخاصةً من جيل الشباب، تمثَّل في تبنِّي هويةٍ مُغايرة لهوية النُخبة الحاكمة، ما فاقَمَ من الفجوة بين الأجيال.

فقد عملت النُخبة الحاكمة، في إطار سياساتها ومساعيها لأسلمة الدولة والمجتمع، على تشكيلِ الوعي الجمعي على نحوٍ يتوافق مع تصوّراتها للهوية الإيرانية، وذلك من خلال العمل على قولبة هوية المجتمع وثقافته العامة عبرَ ما يُعرف بـ«الثورة الثقافية»، والتعليم المؤدلج، وتسـخير المؤسسـات الدينية للترويج للتوجهات الرسـمية، واحتكار السـيطرةِ علـى وسـائل الإعلام كافة، والتحكُّم الصارم فـي مضامينِ الإنتاج الثقافي والإعلامي. ما أدى إلى أثرٍ عكسي تمثَّل في نفور قطاعاتٍ واسعة، خاصةً من أجيال الشباب، من الثقافة الرسـمية، وظهـورِ توجهـاتٍ ثقافيـة مُغايرةٍ لهـذه الثقافة الرسـمية التي تبنَّتها مؤسسـات الدولة بشكلٍ مكثفٍ ومُتواصل، وتتبنَّاها النُخبة الحاكمة المُنتمية إلى جيل الكبار.

إجمـالاً، أدَّت الأسـباب السـابقة إلـى تشـكيل وعـي الأجيـال الإيرانيـة بطـرقٍ وأوجهٍ متباينـة، الأمـر الـذي أفضـى إلى حدوث فجوةٍ جيليـةٍ متنامية بين أجيـال الكبارِ وأجيالِ الشباب، أي على المستوى المجتمعي الرأسي. مع الأخذِ في الاعتبار أن ثمةَ فجوةً جيلية على المسـتوى الأفقي أيضاً، أي على مسـتوى كل جيل على حِدَة، وإن كانت أقل وضوحاً وتأثيراً، وهي ناتجةٌ عن عدم اشتراك جميع الفئات العمرية التي تنتمي إلى الجيل نفسه فـي القِيم والأفكار والتوجهات نفسـها. حيث إن الأجيـال القديمة تعرَّضت لمؤثرات عهد الشاه وعهد الثورة، وتأثرت بمختلف التوجهات الإسلامية والقومية والعلمانية والليبرالية واليسـارية التـي تنازعـت خلال هذيـن العهدين؛ ولهـذا، رغم غَلَبة التوجهات الإسـلامية الثوريـة علـى هـذا الجيل، فـإن ثمة قطاعات محـدودة منه ذات توجهـاتٍ مغايرة. كما أن الأجيال الشابة تلقَّت مؤثراتِ مؤسساتِ الثورة الإيرانية وتلقينها الأيديولوجي، وتعرَّضت لمؤثـراتِ ثـورةِ تكنولوجيـا الاتصالات والمعلومـات؛ ولهذا، وإنْ كانت القطاعات الأوسـع مـن هـذه الأجيـال ذات توجهاتٍ حداثيةٍ تحررية، إلَّا أن ثمة فئـاتٍ أُخرى منها، وإن كانت محدودةً نسبياً، ذات توجهاتٍ محافظة.

أمـا مظاهـر الفجـوة الجيلية في إيران، فهي تتمثّل فـي التباين الواضح في القِيم بين أجيال الكبار والأجيال الشابة. حيث تشير بعض الدراسات إلى أن أجيال الشباب الإيراني تُولي مزيداً من الاهتمام لقيمة التحفيز الذي يعني الرغبة في التغيير والابتكار واكتساب خبرات مختلفة وتجربة بيئات جديدة، والاسـتمتاع بالحياة. كما تُولي هذه الأجيال أيضاً اهتماماً متزايداً لقيمـة التوجيـه الذاتي الذي يعنـي تحديد الأهداف والاسـتقلالية في اتخـاذ القـرارات، ويـدلُ تزايُد الميل نحوَ التوجيه الذاتي والتحفيز على أن الشـباب أكثر اسـتعداداً لإجـراء التغييـر فـي أنفسـهم أو على المسـتوى الشـخصي، وفـي المجتمع أو علـى المسـتوى العـام، وفي المقابل تميـلُ أجيالُ الكبار إلى عدم التغييـر، وتُولي اهتماماً متزايـداً لقِيـم الامتثـال أو الطاعـة والتقاليـد والأمـان الاجتماعـي، وهـي تُعد مؤشـراتٍ للميول المحافظة[26].

كما تَظهَرُ الفجوة الجيلية أيضاً في التباين الحاد بين أجيال الكبار والأجيال الشابة في أنماط السـلوك. حيث يتضح أن الأجيال الأصغر سـناً أقل اهتماماً بالقواعد والسلوكيات الدينيـة مـن أجيـال الكبـار[27]. وفي هذا الإطار تُشـير بعـضُ التقارير إلـى تنامي النزعة اللا دينية، وانتشـار ظاهرة الإعراض عن الدين أو الإلحاد في أوسـاط الشباب الإيراني؛ وذلك كرد فعلٍ من قِبل بعض قطاعات أجيال الشـباب على إسـاءة اسـتخدام السُـلطات الحاكمـة للديـن في مختلـف جوانب الحياة اليوميـة. حيث دفَعَ النموذج الإسـلامي الذي صاغه النظام وتروج له مؤسساتُ الدولة كثيراً من الإيرانيين إلى الإعراض عن الدين[28]، وعلى الرغم من أن ثمةَ رأياً يذهب إلى أن هذه القطاعات من الشباب الإيراني لا ترفض الدين في حدِّ ذاته بل ترفض التحكم المفرط من قِبل النخبة الحاكمة في مختلف جوانب حياتهم باسـم الدين، فإن تنامي ظاهرة الإلحاد في أوسـاط بعض قطاعات الشـباب يُعد مؤشـراً واضحاً على مدى عُمق الفجوة بين أجيال الكبار التي تتسـمُ بالميول المحافظة وتولي اهتماماً ملموساً للاعتبارات والسلوكيات الدينية في الغالب، وأجيال الشباب التي تبدو قطاعاتٌ واسعةٌ منها أقلَّ اهتماماً بهذه الاعتبارات والسلوكيات.

وكذلـك تتمظهـرُ الفجوة الجيلية بوضوح في التباين الكبير بين أجيال الكبار وأجيال الشباب في التوجهات، وخاصةً التوجهات السياسية. فبينما تميل أجيال الكبار في الغالب إلى احترام السُلطة القائمة والإذعان لها، تميل القطاعاتُ الأوسع من الأجيال الشابة إلى الاسـتهانة بهذه السُـلطة وعدم الامتثال لها، كما تميل إلى الاهتمام بالإصلاح السياسـي والديمقراطيـة والتعدديـة وحريـة الـرأي والتعبير، وهـو ما يتضحُ من ممارسـة قطاعات الشباب دوراً مهماً في انتخاب رجل الدين الإصلاحي، محمد خاتمي، رئيساً عام 1997م، ومشـاركتهم فـي تظاهـرات جامعـة طهران العـام 1999م. كمـا يتضح أيضاً مـن انضمام

كثيـر مـن الشـباب إلـى «الحركة الخضـراء» الإصلاحية، التـي عارضت التلاعـب بنتائج الانتخابات الرئاسـية العام 2009م، وكذلك مشـاركتهم في الاحتجاجات الشـعبية أواخر العـام 2017م، وأوائـل العام 2018م، والتي بدأت لأسـباب اقتصادية واجتماعية، وتحوَّلت إلى المطالبة بتغيير النظام السياسي، وأيضاً مشاركتهم في احتجاجات نوفمبر 2019م.

رابعاً: انعكاسات الفجوة بين الأجيال على هوية المجتمع والدولة

على مدى القرن الماضي، واجهت إيران العديدَ من الأحداث الكبرى التي استدعت تشكيل أو إعادة تشكيل هويتها باستخدام مصادرَ متعددة الأبعاد من أجل بناء هوية وطنية؛ وقد حاولت هذه الهوية مبدئياً إنشاء الصلات بين الثُنائيات المتباعدة والمثيرة للجدل، والتي تتمثَّل في الاعتبارات الإسلامية والاعتبارات القومية، وتراث ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام، والموالاة للغرب ومناهضة الإمبريالية، وقد تعايشت مكونات الهوية الإيرانية الثلاثة (القومية، والإسلاموية، ومعاداة الإمبريالية) المعبرة عن الثُنائيات السابقة، في تمازج أو توافق أحياناً، وفي تنافس أحياناً أُخرى. لكن بشكل عام شهدَ التاريخُ الإيراني الحديث زيادةً مطردة في التنازع بين هذه المكونات، على نحو أحدث ارتباكاً في الهوية الوطنية الإيرانية. وعقب حدوث الثورة العام 1979م تزايَد هذا الارتباك[29]، ومع تنامي الفجوة بين جيل الكبار الذي قام بالثورة وأمسك بزمام السُلطة، وأجيال الشباب المهمّشة في الغالب، أُضيف مزيدٌ من التعقيد لهذا الارتباك.

فقد أدت الفجوة بين الأجيال إلى إحداث فجوة بين هوية الدولة وهوية قطاعات واسعة من المجتمع، حيث أفضى التباين الحاد في القيم والتوجهات والأفكار بين أجيال الشباب وأجيال الكبار التي تنتمي إليها النُخبة الحاكمة، إلى ثُنائية أو ازدواجية في الهوية، ما بين هوية أيديولوجية ذات صبغة إسلامية أُممية يتبناها النظام الحاكم وبعض الفئات، سواء من المقتنعين بتوجهات هذا النظام وشعاراته وقيمه، أو المنتفعين منه. في مقابل هوية حداثية قومية ذات صبغة علمانية تتبنّاها قطاعاتٌ مجتمعيةٌ واسعة، وخاصةً من الأجيال الشابة، سواء كان تبني هذه الهوية المغايرة عن اقتناع بمكوناتها وقيمها وأفكارها، أو كان بمثابة نوع من التعبير عن الرفض أو المخالفة للنُخبة الحاكمة، التي أدَّت خيبةُ الأمل في أدائها السياسي إلى فقدان كثير من الشباب الثقةَ بالشعارات والقيم التي تحملُها، كما أدَّت إلى رفضهم الهوية التي تتبنَّاها.

وبهذا ساهمت الفجوةُ المتنامية بين الأجيال في استمرارية حالة التنافس أو التنازع بين الثُنائيات التي تتضمنها الهوية الإيرانية، من خلال نشوء بُعد جديد لهذه الثُنائيات، وهو البُعد الناجم عن الثنائية الجيلية القيمية (جيل الثورة بقيمه الأيديولوجية المحافظة،

فـي مقابـل جيلِ ما بعد الثورة بقِيمـه الحداثية المتحررة)، وهـي الثُنائية التي انبثقت منها ثُنائيـة هويـة الثـورة فـي مقابـل هوية ما بعـد الثورة. فمن ناحيـة، ثمةَ هوية الثـورة، والتي هـي بمثابة الهوية الرسـمية للدولة، وهـي تحتل الواجهة السـطحية، إذ تمثّلها المؤسسـاتُ والهياكل الحكومية التي تحمل سِمَت الثورة الإيرانية وشعاراتها ومبادئها، وتُعبرُ هذه الهوية بالأساس عن توجهات أجيال الكِبار لا سيما عن توجهات النُخبة الحاكمة، ولهذا فهي هويةٌ ذاتُ طابعٍ نخبوي في الغالب، حيث صاغتها الطبقة الحاكمة على نحوٍ يضمن استمراريةَ حُكمها ويُعزز سيطرتها على مختلف جوانب المجتمع، كما أقامتها علىً أُسسٍ واعتباراتٍ سياسية أيديولوجية تفتقر إلى القبول على نطاقٍ واسع، وفرضتها بأسلوبٍ فوقي تحكُميً يُغفـل تنـوعَ عناصـر الهوية الواقعية للمجتمع، ومِن ناحيةٍ أخـرى، ثمة هويةٍ ما بعد الثورة، والتـي تُعـد بمثابـة هوية المجتمـع أو بالأحرى القطاعاتِ الأوسـع من المجتمع، لا سـيما القطاعات الشـبابية التي تشـعر بحالةٍ من الاغتراب إزاءِ السُـلطة الحاكمة والمؤسسـات الرسـمية، وهـي هويـةٌ ذات طابـعٍ عامٍ، حيث إنها واسِـعةِ الانتشـار بين مختلف الشـرائح والطبقات العليا والمتوسطة والدنًيا، كما أنها أكثر تعبيراً عنِ الواقعِ الاجتماعي والثقافي للمنتمين إليها؛ وتحتل هذه الهوية، رغم القيود السُلطوية، حيزاً كبيراً في المجال المجتمعي العام بجانبه الواقعي المتمثِّل في الجامعات والمدارس والشوارع وأماكن الترفيه والتجمع، وجانبه الافتراضي المتمثِّل في شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

هذا الازدواج في الهوية يتَّضح من خلال العديد من المظاهر، والتي من أهمها التعبئة والتعبئة المضادة من قِبل المنتمين إلى الهويتين المتنازعتين. حيث تعمل النُخبة الحاكمة الممثلـةِ لهويـةِ الثـورة أو الهوية الأيديولوجية الإسـلامية الأُممية، على حشـدِ الدعم لهذه الهويةِ بتكثيفِ التلقين الأيديولوجي من خلال محتوى المناهجِ التعليمية ووسـائل الإعلام الرسـمية وغيرهـا مـن المؤسسـات والهياكل الحكوميـة، فضلًا عن تظاهراتٍ ومسـيراتِ الذكـرى السـنوية لانتصـار الثورة. وفي المقابل كثيراً مـا تُعبِّر القطاعات الممثلةُ لهوية ما بعد الثورة أو الهوية ذات الصِبغة القومية الحداثية العلمانية عن نفسها من خلال التعبئة السياسـية المضـادة التـي تتمثَّل فـي الاضطرابـات والاحتجاجات العديدة التي شـهدتها إيران خلال الأعوام الماضية، والتي غالباً ما كانت تحمل شـعاراتٍ مفادُها رفض الفئات المشـارِكة فيهـا للنظـام القائم باعتباره لا يمثِّلهـا أو لا يُعبِّر عن هوِيتهـا، مِثل اضطرابات جامعـةِ طهـران عـام 1999م، والتظاهـرات الرافضـة لنتائـج الانتخابـات الرئاسـية العام 2009م، والاحتجاجـات الشـعبية أواخـر العـام 2017م وأوائل العـام 2018م، واحتجاجات نوفمبـر 2019م؛ والتـي كان يتبعُها في الغالب تسـيير الفئات المتبنيـة للنهج الأيديولوجي المحافظ لتظاهراتٍ مضادة مُؤيدة للنظام.

والمظهر الآخر المُعبِّر عن ازدواجية الهوية أو ثُنائيتها هو التعبير العلني عن التوجهات الثقافيــة والاجتماعيــة المعادية للتقاليد القائمة على مبــادئ الثورة الإيرانية وقِيمها، من خــلال تبنّــي بعض القطاعــات المجتمعية، وخاصةً من فئات الشــباب، توجهاتٍ قومية أو علمانية مُتعارضة مع التوجهات الرسمية المحافظة، ومن الأمثلة الدالة في هذا الإطار، ظاهرةُ الاحتشاد لإحياء ذكرى بعض الشخصيات الفارسية التاريخية، كالملك كورش، مع ترديد شــعارات قومية أو شــعارات مناهضة للنظام الحاكم[30]. وكذلك التجمع للاحتفال ببعض المناسبات ذات الجذور الفارسية القديمة مثل «أربعاء النار»[31]، وظاهرة ما يُعرف بالزواج التقليدي الفارســي، والتي تتمثَّل في رغبة بعض الشــباب بإقامة مراســم زواجهم وفــقَ التقاليــد الفارســية القديمة ومــن دون النصوص الدينية، وخصوصــاً تلك التي تُتلى وتُكتب باللغة العربية[32]، وأيضاً ظاهرةُ ما يُســمى بـ«الزواج الأبيض»، وهو علاقةٌ زوجية تســتندُ إلى اتفاقٍ ثُنائي بين الرجل والمرأة من دون أي عقدِ زواج مكتوب أو عُرفي، على غِــرار نمــطِ العلاقــات الســائد في الــدول الغربية[33]؛ وذلــك بالإضافة إلــى إظهار بعض الشباب أنماطَ معيشتهم المتحررة والمتمردة على القِيم الإيرانية المحافظة، والمشابهة لنمــطِ الحيــاة فــي الغــرب، وهو مــا يتضح من خــلال العديد من المجموعــات على بعض مواقعِ التواصل الاجتماعي[34].

هذه الظواهر وإن كان بعضها محدوداً، وإن كان مُعظمها ذا طابعٍ اجتماعي بالأساس، إلَّا أنها لا تخلو من الدلالةِ ولا من المضمونِ السياسي. حيث تُعبِّر عن التناقُض الصارخ بين الهوية الرسمية للدولة وهوية بعض فئات المجتمع.

بيــدَ أنَّ المظهــرَ الأبــرَز للازدواجية أو عدم الاتِّســاق بين هوية الدولة وهوية المجتمع فــي إيــران هــو الاختــلاف حــولَ طبيعة الأهــداف والمصالــح الوطنيــة العامــة. حيثُ من المُفتــرض أن يكــون تحديد هذه الأهداف والمصالح بمثابة نِتاج للتوافق العام حولَ هويةٍ موحَــدة للكيــان الجيوسياســي، وهــو ما لا يتوافر فــي الحالة الإيرانية. فمــن ناحية، تنزع النُخبة الحاكمة، التي تنتمي إلى جيل الكبار والتي تُعبِّر عن الهوية الرســمية للدولة، إلى تبنّي أهدافٍ عابرةٍ للحدود الوطنية، وذاتِ طابعٍ عدائي في الغالب، ومرتبطة ببناء النفوذ فــي الجــوارِ الإقليمي من خلال دعم الجماعــاتِ الموالية للنظام الإيراني في الخارج، مع التركيز على الهواجس الأمنية والتصَارُع مع الخُصوم الخارجيين والداخليين ســواءً كانوا حقيقيين أو وهميين.

وفــي المقابــل تميــلُ غالبية أجيال الشــباب، والتي تُعبِّر عن هوية القِطاع الأوســع من المجتمــع، إلــى التركيــز على الأهــداف والقضايــا الداخلية بالأســاس؛ وفي هــذا الإطار ينصبُ اهتمامُ أجيال الشباب على مجموعةٍ من الأهداف والمطالب من أهمها: الإصلاحُ

السياسي، وتوسيعُ هامش الحرية والمشاركة السياسية، وممارسةُ دورٍ أكبرَ في مختلف جوانب المجتمع وفي تحديد مصير بلدهم، وتحقيقُ العدالة والازدهار على المستوى الوطني، وتحسينُ الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وتوفيرُ فُرص العمل، والارتقاءُ بمستوى المعيشة، مع الرغبة في التفاعُل مع العالم والثقافات المختلفة، بمعنى إقامة علاقاتٍ إيجابية وتعاونية مع العالم الخارجي والاندماج معه[35].

خلاصة

إن تناولَ موضوعَ الفجوة المُتنامية بين الأجيال وانعكاساته على هوية المجتمع والدولة يُثيرُ التساؤلَ عن المسارات التي سوفَ تنتهجُها الهوية الإيرانية على المديين المتوسط والبعيد. هل ستستمرُّ حالةُ الثُنائية التي اتَّسمت بها هذه الهوية على مدى العقود الطويلة الماضية، أم ستتمكَّنُ إحدى الهويتين المُتنازعتين من تنحية الأُخرى تماماً، أم ستزولُ حالةُ الازدواجية والتنازُع بين الهويتين لتحلَّ محلَّهما هويةٌ توافقية تستوعبُ جميعَ فئات الدولة والمجتمع؟ وتكمُن الإجابة على هذا التساؤل في أنَّ القيم الفردية والاجتماعية التي تتأسسُ عليها الهويات لا تختفي أو تزولُ بسهولة في الغالب، كما أنه يصعُب أنَّ تتمكَّن قيمةٌ فرديةٌ أو اجتماعية من تنحية قيمة أُخرى بشكل تام لتحلَّ محلَّها. إلَّا أنَّ الهوية شأنُها شأنُ الظواهر الإنسانية كافة غيرُ جامدة، حيثُ إنها قابلةٌ للتغيير والتطور سواءٌ من خلال التحوّلات البطيئة والتراكُمية عبرَ فتراتٍ زمنية طويلة، أو من خلال الطفرات الاستثنائية في حالة الأحداث التاريخية الفارقة والتحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة، وإنْ كان هذا التغييرُ لا يتمُ فجأةً أو بين ليلة وضُحاها، بل يجري في الغالب على نحوٍ تدريجي ومُستقرٍ نسبياً، وهو قَد يحدثُ على نطاقٍ واسع عندما تحلُّ الأجيالُ الأصغر، بقيمها وتوجهاتها الجديدة، محلَّ الأجيال الأكبر سناً في المجتمع؛ وبناءً على هذا، على الأرجح لن تشهَدَ طبيعةُ هوية الدولة والمجتمع في إيران تغييراتٍ جذرية في القريب العاجل، بل ستستمرُّ حالةُ الثُنائية والتنازُع بين التوجهات الثورية الأيديولوجية ذات الصبغة الإسلامية والتوجهات القومية الحداثية ذات الصبغة العلمانية في إطار الهوية الإيرانية، سواءٌ على المدى القصير أو المتوسط.

لكن على المدى الطويل من المُحتمل أنْ تشهدَ الهويةُ الإيرانية بعضَ التغييرات نتيجةً لضغوط الأجيال الجديدة، وحراكها الاجتماعي والسياسي المستمر، هذه الضغوط قَد تُسهم في إعادة تشكيل هياكل القوى القديمة في النظام السياسي، على نحوٍ يُفضي إلى حصول الأجيال الشابة على تمثيلٍ سياسي أفضل يعكسُ رغبات هذه الأجيال وتوجُّهاتها، ما يؤدي بالتالي إلى تغييراتٍ وتطوراتٍ في الهوية الإيرانية عبرَ اتخاذها شكلاً توافقياً

وأكثـرَ اسـتيعابيةً تتعايـشُ في إطارِه بعضُ القِيـم والأفكارِ الحداثيـة والقومية إلى جانب القِيـم الإسـلامية المُحافظـة التـي قَـد يتناقـصُ نُفوذُهـا، لكن لن تتـم تنحيتُهـا تماماً أو اختـزالُ تأثيرهـا علـى المجتمع والدولة في أضيقِ الحدود، ومن المُحتمل أنْ تُسـهمَ تلك التطورات في تقليلِ التوتراتِ بين الرؤيتين الإسلامية والقومية للهوية الوطنية الإيرانية، كما ستُؤدي إلى التقليلِ من حدةِ التوجُّهات الراديكالية للنُخب الحاكِمة.

المراجـــع والمصـــادر

(1) Nicholas Abercrombie & Stephen Hill, The Penguin Dictionary of sociology, (London: Penguin Books, fourth edition, 2000), p. 150.

(2) Will Kenton, Generation Gap, Investopedia, (August 21, 2019), accessed on: 1 Apr 2020. https://bit.ly/2VkXWp3

(3) Mohammad Hossein Panahi, «Intergenerational Conflicts in Iran: Myth or Reality?», Cultural Encounters, Conflicts, and Resolutions, (Cleveland: Cleveland State University, Vol. 1, No. 1, 2014), pp. 6-7.

(4) Margaret Mead, Culture and Commitment: The New Relationships between the Generations in the 1970s, (New York: Anchor Books, 1978), pp. 13-19.

(5) Hüsamettin İnaç & Feyzullah Ünal, «The Construction of National Identity in Modern Times: Theoretical Perspective», International Journal of Humanities and Social Science, (New York: Center for Promoting Ideas (CPI) Vol. 3, No. 11, June 2013), p. 224.

(6) Alam Saleh, Ethnic Identity and the State in Iran, (New York: Palgrave Macmillan, 2013), pp. 49-50.

(7) Ibid, p. 49.

(8) Henri Tajfel, Differentiation between social groups: Studies in intergroup relations, (London: Academic Press, 1978), P. 63.

(9) Richard R. Verdugo & Andrew Milne (eds.), National Identity: Theory and Research, (Charlotte, North Carolina: Information Age Publishing, 2016), pp. 2-4.

(10) Ibid., p. 5.

(11) خالد بشير، مفهوم الهوية السياسية: ما الذي يبرر انتماءك لهوية ما؟، مصر العربية، (31 يوليو 2015م)، تاريخ الاطلاع: 02 أبريل 2020م. https://bit.ly/3b3z7o7

(12) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، مجلة حكمة، (14 نوفمبر 2015م)، تاريخ الاطلاع: 02 أبريل 2020م. https://bit.ly/34wHGoU

(13) Reihaneh Tamizifar & Mahdi Tamizifar, «Changes in Values and Its Relationship with subjective Welfare (Case Study of Three Generations in Iran)», PEOPLE: International Journal of Social Science, (Malviya Nagar: Global Research & Development Services Publishing, Vol. 3. No. 3, February 2018), pp. 1526-1527.

(14) Habibollah Karimian & Mehrdad Navabakhsh, «ICT and Urban Family Generation Gap in Iran», International Journal of Social Sciences, (London: The International Institute of Social and Economic Sciences, Vol.6, No.2, 2016), p. 5.

(15) Reihaneh Tamizifar & Mahdi Tamizifar, Changes in Values and Its Relationship with subjective Welfare. p. 1532.

(16) Ibid., p. 1526.

(17) Ibid., pp. 1526-1527.

(18) لمزيد من التفاصيل حول ملابسات هذا الصراع، راجع: فهمي هويدي، إيران من الداخل، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الرابعة، 1991م)، ص 196-183.

(19) Reihaneh Tamizifar & Mahdi Tamizifar, Changes in Values and Its Relationship with subjective Welfare, p. 1527.

(20) Some 64% of Iranians are internet users: report, Tehran Times, January 11, 2019, accessed on: 5 Apr 2020. https://bit.ly/3ehcvmj

(21) Habibollah Karimian & Mehrdad Navabakhsh, ICT and Urban Family Generation Gap in Iran», p. 7.

(22) Ibid., p. 10.

(23) Alam Saleh, Ethnic Identity and the State in Iran, (New York: Palgrave Macmillan, 2013), pp. 53-54.

(24) علم صالح وجيمس وارل، بين دارا والخميني: استكشاف إشكالية الهوية القومية في إيران، (ترجمة: محمد العربي)، (الأسكندرية: مكتبة الأسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2016م)، ص 16.

(25) المرجع السابق، ص ص 35- 42.

(26) Reihaneh Tamizifar & Mahdi Tamizifar, Changes in Values and Its Relationship with subjective Welfare, pp. 1533-1534.

(27) Mohammad Hossein Panahi, «Intergenerational Conflicts in Iran: Myth or Reality?», pp. 12-14.

(28) Ali Sadrzadeh, Turning away from Shia in Iran ''A Tsunami of Atheism'', Qantara.de, (7 Feb 2013), accessed on: 4 June 2020, https://cutt.us/DvahQ

(29) Alam Saleh, Ethnic Identity and the State in Iran, pp. 55-56.

(30) BBC عربي، آلاف الإيرانيين يتحدون السلطات ويشاركون في إحياء «يوم كورش»، (29 أكتوبر 2016م)، تاريخ الاطلاع: 04 أبريل 2020م. https://bbc.in/2V2WY1D

(31) آیدا قجر، چهارشنبه‌سوری از کجا می‌آید؟، BBC فارسي، (24 اسفند 1395 - 14 مارس 2017م)، تاريخ الاطلاع: 02 أبريل 2020م. https://bbc.in/2UZtMbQ

(32) الزواج التقليدي الفارسي.. ظاهرة هامشية ترفض القيود الدينية؟، دويتشه فيله (DW)، (DW سبتمبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 02 أبريل 2020م. https://bit.ly/3a91gZW

(33) ازدواج سفید در ایران و پیامدهای آن، پژواک جامعه،(09 أبريل 2019م)، تاريخ الاطلاع: 02 أبريل 2020م. https://bit.ly/2Rul4QE

(34) CNN بالعربية، «أبناء طهران الأثرياء»..تمرد على القيم الاجتماعية أم مجرد استعراض للحياة الفاخرة؟، (16 نوفمبر 2014م)، تاريخ الاطلاع: 02 أبريل 2020م. https://cnn.it/3c8Fp6b

(35) لمزيد من التفاصيل حول مطالب أجيال الشباب في إيران، راجع: عليرضا محمدى، انقلاب نسل ها: انقلاب اسلامی ومواجهه با نسل سوم، پرتال جامع علوم انسانی، تاريخ الاطلاع: 02 يونيو 2020م، https://cutt.us/a5cv0